

(بيت الشعر)
مجلة «الشعراء» .. مجلة (أقواس)
تحية ... وسوف تنتصرون

د. أحمد أبو مطر*

الأسماء المذكورة أعلاه، مسميات لأبنية ثقافية / إبداعية قائمة ونشطة في مدينة رام الله، وفي العديد من الدول العربية والأجنبية، مثلها معروفة ونشطة .. فلماذا نقف احتراماً وتقديراً وإعجاباً لهذه المؤسسات، ونرسل التحية للقائمين عليها؟!

نعم، إنه سؤال لا بد من أن يتبادر إلى الأذهان العديدين، الذين ربما يقولون، لماذا هذا الإعجاب والتقدير؟! ففي العديد من العواصم ومنذ سنوات طويلة «بيوت للشعر» ومجالات متعددة، حتى في بلاد فلسطين، العديد من المراكز الثقافية، وكم من المجالات الشهرية والدورية.

إن ما يشعرنى بالإعجاب والتقدير، لهذه الكتيبة الشجاعة المنتورة من الزملاء والزميلات، هو إصرارهم على مواصلة الحفر والتجذير والتجريب في الميدان الإبداعي، رغم قسوة الظروف وصعوبة الحصار الإسرائيلي الوحشي، ربما يقول البعض: وهل هذا أوان الشعر واحتضان الإبداع الجديد؟

.. إنه وقت الحجر والرصاصة فقط؟ لا.. رغم الحصار والغزو وقلة الموارد المادية وصعوبة الحركة والتنقل، وحيث لا يعرف الحيّ متى يموت، والميت متى يدفن، فإنه علينا أن نثبت لأنفسنا أولاً، ولعدونا الذي يحاصرنا ثانياً، وللعالم من حولنا أولاً وثانياً وثالثاً، أننا شعب متكامل الهوية البشرية، ونسعى لبلورة وتشكيل كافة مؤسساتنا وهيئاتنا، مادياً ومعنوياً على طريق إقامة دولتنا الفلسطينية المستقلة، لذلك فلدينا الوقت، كل الوقت، للانتفاضة ضد الغزو والاحتلال، بالحجر والرصاصة، وما أتيج من مقاليع وإطارات، وسيارات قديمة، ولدينا، أيضاً، بعض الوقت للثقافة والإبداع والتجريب.

قبل أسبوعين كان بصحبتني، عندما وصلني مغلف البريد الذي يحتوي العدد (12) من مجلة «الشعراء» .. وأمس تصادف، أيضاً، أن يكون هذا الجار، أيضاً، عندي، عندما وصل مغلف بريدي يحتوي العدد الأول من مجلة (أقواس) التي يصدرها «بيت الشعر» في رام الله، كملحق لمجلة «الشعراء» لتكون «فصلية ثقافية تعنى بالإبداع الجديد»، وفي المغلف ذاته ديوان الزميل المتوكل طه الجديد «نقوش على جدارية محمود درويش».

سألني: ما هذه الكتب والمطبوعات؟ فأجبتة إنها مجالات ثقافية / إبداعية، ودواوين شعر، قادمة من زملاء لي في رام الله، سأل: بأية لغة؟ أجبتة: طبعاً باللغة العربية، لغتنا القومية من عشرات القرون، استفسر وبغفوية: مطبوعات قديمة؟ قلت: لا .. فهذه المجلة «الشعراء» وهذه المجلة (أقواس) صادرتان في الربيع الحالي، أي تقريباً في شهر نيسان الماضي، شهق بالطريقة النرويجية مستغرباً، فسألته عن سبب دهشته، فقال: في نيسان .. يعني الآن في ظروف الحصار والقصف والإغلاق الإسرائيلي، قلت: نعم .. أجاب: عزيزي .. إنكم شعب يستحق الاحترام، وحتماً سوف تنتصرون ..

حاولت الانتقال إلى موضوع آخر في الحديث معه، فأوقفني قائلاً: هل تترجم لي سطوراً من هذه المطبوعات؟ .. كان طلباً صعباً، فهي مطبوعات وإصدارات جديدة، فكيف يمكن لأي مثقف / كاتب أن يختار منها سطوراً تكون لها دلالة لعالم آثار غربي ..

وهل هناك أجمل وأروع وأكثر تأثيراً، من إصرار المركز الثقافي الفلسطيني - «بيت الشعر»، على إقامة الملتقى الشعري، الذي تصادف عقده مع الأيام الأولى من اندلاع الانتفاضة ..

ألا يستحق التقدير، عقد الندوات الشعرية، ومحبو الشعر يركضون من شارع إلى حارة وصولاً إلى القائمة، ليفاجأوا بوصول بعض الشعراء، واستحالة وصول البعض، ومنع الغزاة المحتلين لدخول البعض ..

ألا يدل ذلك على الوعي لشعب متحضّر، له جذوره في النضال والثقافة والإبداع؟ .. أعتقد أنّ هذه النشاطات تغيظ الغزاة والمحتلين، بنفس درجة غيظه من الحجر والمقلاع والرصاص، فهم لا يهدفون إلى تدمير البينة التحتية لمجتمعنا، ولا تجريف الأرض والمزارع والبيارات والكروم فقط، لكنهم يهدفون إلى تدمير وتجريف روحنا المعنوية، صمودنا الشجاع، إرادتنا الداخلية، فهذه النشاطات الثقافية / الإبداعية، وسط حصارهم وقصفهم وتجريفهم، رسالة / إبداعية لهم؛ بأننا شعب يستعصي على الدمار وال«اف 16 و 18»، وكل ما في ترسانتهم العسكرية الإسرائيلية / الأمريكية.

أعترف لكم، أن الحافز على كتابة هذه المقالة / التحية، هو جاري النرويجي، عالم الآثار / الأركيولوجي، فقبل اندلاع الانتفاضة، وهو يبحث معي ويتناقش حول إمكانية مساهمة علماء الآثار النرويجيين في الحفريات الأثرية المطلوبة من زملائهم الفلسطينيين، وتصادف أنه

تصفحت مجلة (أقواس) وقرأت المقدمة «لماذا أقواس» التي كتبها مراد السوداني، وترجمت له السطور التالية: «.. نطلق (أقواس) وبلادنا تشق عباءة الدخان في «زمكان» كالح وترنو لمد جسور التناقص والتواصل مع عمقنا العربي والإنساني في إطار صياغة الحلم والأهداف، ولتعميق التجربة وتوسيع دائرة الحراك الثقافي «هنا» وفي كل مكان ..».

أما بعد /

ويتبعنا الوليد». فتنهد بحزن، ولم يعقب، وتطلع نحو جهاز التلفزيون الذي يبث برنامجاً عن الحصار الإسرائيلي، وسيارات الإسعاف يعلو صفيرها .. تنقل الجرحى والقتلى من جراء الرصاص الإسرائيلي ..

نعم .. علينا أن نواصل الإبداع والتجريب، فالتجريب في الإبداع، هو نقيض التجريف الإسرائيلي في الأرض.. علينا أن نواصل إنتاج ثقافتنا في المجالات كلها، فهم لن يقتلوا فينا الروح، وهذه الروح هي التي تحقّر الشاب على حمل الحجر والمقلاع، والكاتب / المبدع على حمل القلم ..

أيها الزملاء

المتوكل طه

غسان زقطان

مراد السوداني

وكل من ورد اسمه في الصفحة الثالثة من (أقواس) وصفحاتها الداخلية .. كل من لم يرد اسمه .. لكم التحية والتقدير، على هذا الجهد المتميز في «زمكان» صعب .. يعجز عنه من هم في «زمكان» سهل ومريح .. واصلوا إبداع ثقافتنا .. وحتماً لا بد من أن ننتصر!!

عقب قائلاً: «الآن أنا متأكد أكثر أنكم شعب عظيم ويستحق الاحترام، ولا بد من أن تنتصروا ..» ثم أمسك ديوان المتوكل طه «نقوش على جدارية محمود درويش» وبدأ يتأمل لوحة الغلاف، التي رسمها / أبدعها الفنان جمال الأفغاني، ويلف الغلاف يميناً وشمالاً، ويسألني هل هذه نقوش / حفريات قديمة، فأجبت: لا أعرف .. ولكن حسب المكتوب في الداخل فهي لوحة تشكيلية لفنان فلسطيني معاصر، يعيش في رام الله، وهو من أشهر الفنانين التشكيليين عندنا، وله عشرات الأعمال والمعارض، أصرّ بعد هذا التوضيح أن أترجم له مقطعاً من «الجدارية» فمازحته قائلاً: .. آسف .. إن كنت تريد ذلك، فعليك دخول دورة لغة عربية، لتقرأ إبداعنا مباشرة دون الحاجة إلى ترجمة، وإزاء إصراره ترجمت له المقطع الذي يقول فيه المتوكل طه:

«والأرض شاهد موتنا،

منذ اخترناها بنا،

طيناً حليبياً يشيب،

ثمارنا أبنائنا،

يتساقطون أمامنا فينا،

* أكاديمي فلسطيني يقيم في النرويج.